رمزية الثور في الفكر العراقي القديم

أ. م.د. إيمان لفته حسين
جامعة القادسية – كلية التربية – قسم التاريخ

تاريخ الطلب : ١٢ / ٧ / ٢٠٢١
تاريخ القبول : ١٧ / ٨ / ٢٠٢١

Emil:emin.h.Lafta@qu.edu.iq

الخلاصة

احتلت رمزية الثور مكانة كبيرة في الفكر العراقي القديم، واتضحت تلك المكانة من خلال ظهوره على المخلفات الفنية ومنذ عصر حلف (الألف الخامس قبل الميلاد)، بأشكال الدلايات ورسوم الفخاريات التي ذكرت على رأسه أو قرونه، والتي اعتقد أنها تعطي فكرة بداية الثور في المعتقدات الدينية، كما ظهرت رسوم الثور ومنحوتاته على مختلف النتاجات الفنية للأدوار الحضارية لبلاد الرافدين وعلى مر العصور، وفي كل أجزاء البلاد الشمالية والجنوبية، ولم يقتصر على الفخار الملون فقط، بل ظهرت رسوم الثور ايضاً على الحجر والعظم، ونماذج الدمى الفخارية، وعلى اللبن وحتى الأدوات الموسيقية (القيثارة) وكذلك على الاختام الاسطوانية والمنبسطة، والمجسمات الطينية (الثيران المجنحة)، واتضحت تلك الرمزية بكونها تمثل حالات وطقوس وشعائر دينية وطقسية مختلفة منها رمز القوة، والخصب، والتكاثر، فضلاً عن رمز للآلهة العظام ورمز للألوهية ورمز الحكمة والاتزان والحماية من الارواح الشريرة، ورموز أخرى مثلها في الأساطير العراقية القديمة.))

الكلمات المفتاحية :الرمزية ، لاماسو ، الخضوع ، الخصوبة ، التكاثر والحماية .

Abstract

The symbol of the bull was a great place in the old Iraqi thought, and it became apparent through its appearance on the technical waste since the 5th millennium BC in the form of the dailies and the pottery that was mentioned on his head or the horn which I thought give the idea of primitive bull in religious beliefs. On the various artistic productions of the

cultural tools of Mesopotamia and throughout the ages, and in all parts of the country, the comprehensive and southern not only the pottery Mon, but the drawings also appeared on the bull stone and bones and pottery models, milk and even musical instruments (guitar) as well as the cylindrical and flat seals, and the mud, The symbolism of the goddess of bones, symbol of divinity, symbol of wisdom, balance, protection from evil spirits and other symbols, as in the ancient legends .

key words :
Symbolism, Lamassu, Submission, Fertility, Reproduction and Protection.

المقدمة

تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها تعكس لنا تصور الإنسان العراقي القديم وحواسه تجاه الشيء المقدس من خلال الرموز الدينية التي تعتبر انعكاس وظل للواقع العلوي الذي لا يستطيع الإنسان إدراكه، لذلك فقد جاءت هذه الدراسة لتهدف إلى إبراز رمزية الثور في الفكر العراقي القديم من حيث الطقوس والمعتقدات والدلالات التي ترتبط بهذه الرمزية، من القوة، والخصب، والحماية، والالوهية.

وقد اتبعنا في ذلك المنهج العلمي التحليلي القائم على دراسة الرسوم وتماثيل الثور في المشاهد الفنية والفخاريات واستنباط وتحليل رموز تلك المشاهد والمعاني والدلالات التي كان الإنسان القديم يروم إيصالها.

قسم البحث إلى خمس نقاط رئيسية غطت كل جوانب البحث، النقطة الأولى دارت حول رمزية الحيوان في الفكر العراقي القديم، والثانية اشتملت الثور رمز للقوة والخصب والحماية، أما الثالثة فقد دارت حول الثور رمز للآلهة العظام ورمز للألوهية، بينما كانت النقطة الرابعة قد ركزت على رمزية الثور في الأساطير العراقية القديمة والمشاهد الفنية التي مثلت طقوس القرابين والأضاحي والآلات الموسيقية. وكانت النقطة الخامسة والأخيرة قد تحدثت عن رموز الثور المجنح ذو الرأس البشري (اللاماسو) ووظائفه ومدلولاته.

اعتمدنا في ذلك على مجموعة من المصادر العربية والمعربة والاجنبية، اهمها:

(الفن العرافي القديم) لثروت عكاشة، و(الفن في العراق القديم، الجزء الاول) لأنطوان مورتكات، و(عشتار ومأساة تموز) لفاضل عبد الواحد علي، و(الثور المجنح رمز العظمة الآشورية) لحكمت بشير الاسود، فضلاً عن (CDA) لـ Jermy Black و(Symbols of the Gods in Mesopotamia a. Art) لـ Van Buren ومصادر أخرى تم عرضها في هوامش البحث.

وقد توصلنا من خلال هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج المذكورة في نهاية البحث، وعسى أن تكون قد وفقنا في تحقيق أهداف البحث ... ومن الله التوفيق. الباحثة

أولاً:رمزية الحيوان في الفكر العراقي القديم:

استطاع الإنسان القديم أن يحيط نفسه بهالة من الرموز (Symbols) التي تحمل دلالات ومعاني معينة، وهذه الرموز كانت مستنبطة من بيئته وثقافته التي كان يعيش فيها، ثم أصبحت هذه الرموز تعكس صورة مرئية لتفكير الإنسان تجاه الطبيعة والقوة المسيطرة عليها سواء كانت دينية أم دنيوية، غير أن للرموز الدينية أهمية خاصة، لأن الدين والرمز كانا ذو علاقة تفاعلية لوجود أشياء لا تعد ولا تحصى خارج نطاق الوعي البشري .[١]

وعليه يقصد بالرمز الشكل الذي يدل على شيء ما، له وجود قائم بذاته يمثله ويحل محله فهو لغة ايحاء[٢] وتكون عبارة عن صورة أو تمثال أو علامة تدل على معنى الرمز.[٣]

وقد عرف ابن منظور[٤] الرمز (Symbol) لغوياً على أنه تصويت خفي باللسان كالهمس وهو إشارة وإيماء، أما الرازي[٥] فقد عرفه بأنه الإشارة والإيحاء بالشفتين والحاجب.

أما الرمز اصطلاحاً فقد عُرف بأنه (الموضوع أو التعبير أو النشاط الاستجابي الذي يحل محل غيره ويصبح بديلاً ممثلاً لهُ).[٦]

وقد أدى شعور الإنسان بالخوف من المجهول إلى احترامه كل القوى التي تؤثر عليه وتحيط به. وكانت الحيوانات احد تلك القوة المؤثرة، وتعود علاقة الإنسان في بلاد الرافدين بالحيوان إلى العصور القديمة.[٧] وهذا ما اثبتته الرسوم والنقوش التي زينت سقوف الكهوف، حيث أخذ الإنسان بصور هذه الحيوانات

في العديد من المشاهد ترمز لكثير من المعاني الدينية والسحرية وتمثل معاني الصراع بين الخير والشر[٨]. وقد اتخذ الإنسان من الحيوانات رفيقاً له في مهمات عيشة وطلب الحماية من البعض، وتجنب البعض الآخر لشراستها ووحشيتها، وانعكست اهمية الحيوان على حياة الإنسان القديم الدينية والحضارية، وصار يشكل رمزاً من الرموز الدينية والفكرية[٩]. وكان للحيوانات دوراً مهما في ديانة حضارة وادي الرافدين، فهناك الارواح الحيوانية والحيوانات الروحية وقد خدمت الحيوانات الحية باعتبارها وسائل اتصال بين الآلهة والبشر.[١٠]

وإن الأهمية الرمزية للحيوانات تكمن بكونها رافقت الإنسان منذ وجوده على سطح الأرض، فهي تارة كان يخشاها ولتجنب اذاها بطرق متعددة سحرية أم رمزية من خلال رسمها على جدران الكهوف والمغارة، وفي نفس الوقت استفاد منها كمصدر للغذاء ووسيلة للتنقل والمساعدة في الاعمال الزراعية، وفي حالة تدجين الإنسان لهذه الحيوانات اخذت تشاركه حياته بمختلف اتجاهاتها، وترافقه رحلته اليومية واعماله.[١١]

ويعد الثور احد الحيوانات التي دجنت في بلاد الرافدين منذ عصر جرمو (الألف الثامن قبل الميلاد) وقد ثبت ذلك من خلال المخلفات الكثيرة في هذه القرية.

وحظي الثور بمكانة كبيرة ومتنوعة في حضارة وادي الرافدين على الصعيد البشري وعلى الصعيد الرمزي لكونه يمثل حالات دينية طقسية مختلفة.[١٢]

وكان الغرض الأول من تدجينه هو الحصول على الغذاء إذ يعد لحمه من اللحوم المفضلة في القرابين المقدسة الى العديد من الآلهة، في حين يحرم لحمه في بعض المناسبات وخاصة التي تقام لآلهة الموت والعالم السفلي (ايرشيكيكال)،[١٣] وذلك استخدام الثور في العمليات الزراعية الحراثة، وجر العربات، والحمل وظهر ممثلاً على المخلفات الفنية بأنه الحيوان الوحيد الذي كان يسرج ويسمح للرجل بالركوب على ظهره[١٤]. فضلاً عن استخدامه للحراثة فقد وجدت الكثير من النقوش رسمت عليها عملية الحراثة بواسطة الثيران

يعود أكثرها إلى العصر السومري والبابلي، اقدم هذه النقوش منظر للحراثة يقوم به ثلاثة أشخاص وثور واحد[١٥]. (الشكل رقم ١).

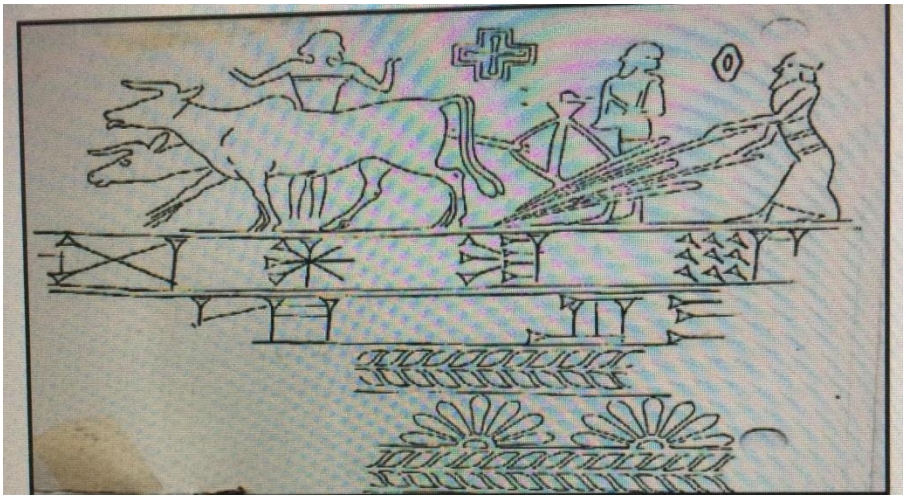

شكل رقم (١)

وقد شرعت القوانين العراقية القديمة قوانين ذات عقوبات صارمة على كل من يلحق الأذى أو الضرر بالثور، فقد جاء في قانون (ليت عشتار) فرض غرامات اختلف مقدارها حسب درجة الضرر تراوحت ما بين ثلث قيمة الثور إذا كان الضرر قد أصاحب لحمه أو ظهره، وربع قيمة الثور في حالة تلف العين أو كسر القرن أو ضرب الذيل، كذلك الحال بالنسبة لقوانين حمورابي التي حددت أجور الثيران في الحقول.[١٦]

ومن هنا يمكن القول إن الفكر العراقي القديم اخذ يستلهم رموز البيئة المحيطة به ويترجمها إلى أشكال مصورة تحمل الكثير من المعاني والمفاهيم. مثل أشكال الثيران والأسماك، والأفاعي، والأسود. ولاسيما ما كان يحمل منها فكرة تجسيد الآلهة بهيئات بشرية وحيوانية أو أحياناً مركبة بين الأثنين يتخذ منها الآلهة رموزاً خالدة تعبر عن الخصب، والنماء، والتكاثر، والقوة والعظمة.[١٧]

ثانياً: الثور رمز القوة والخصب والتكاثر والحماية:

إن أهمية الثور في الفكر العراقي القديم تكمن في أنه القرين الزوجي للبقرة، وهذا ما يتوضح في الاعتقاد الذي يعده

من الرموز الدينية للخصب والتكاثر، وهذا يعني أن عقيدة الخصب لم تكن مقصورة على الآلهة الأم وإنما يكملها (إله الخصب) باعتبار العنصر المذكر في الطبيعة[١٨]. وإن وجود الدلايات الحجرية المصنوعة على شكل رأس الثور وظلف الثور، وكذلك الرسومات التي تصور رأس الثور على الأواني الفخارية في عصر (حلف) من المرجح أن سكان عصور ما قبل التاريخ في بلاد الرافدين اتخذوا من الثور رمزاً للعنصر المذكر، وجعلوه نظيراً للآلهة الأم، وهو بالفعل قد أصبح في العصور التاريخية (الثور) احد ألقاب إله الخصب دموزي[١٩] — تموز.[٢٠]

وكذلك دخل الثور في ألقاب آلهة متعددة باعتباره رمز للقوة والخصب، فهو يدخل ضمن ألقاب الإله أنليل[٢١] الذي لقب بـ(الثور البري العظيم) (بعل السماء)، ولقب إله القمر بـ(ثور السماء الصغير القوي)، وصوره السومريون بهيئة ثور تخرج منه الأشعة كرمز للإله الشمس وقوته[٢٢]. كما كان من أفضل رموز الإله تموز إله الخصب، إذ يظهر الثور المستلقي ومعه تظهر السنبلة إشارة إلى إله الخصب والنبات دموزي، وأحياناً يظهر الثور وحده وهو رمز للآلهة اينانا (عشتار)[٢٣] الآلهة الأم.[٢٤]

أما كونه رمزاً للقوة فنلاحظ غالباً ما كان يصور بمشاهد تظهر لنا أجسام الثيران برأس اسود وهي تمثل حيواناً اسطورياً في أبواب المعابد أو المشاهد المقدسة التي توحي بالقوة، والحماية للآلهة وكثيراً ما ظهرت مشاهد صراع الثور والأسد، إذ يمثل هذا الصراع الأبراج الكونية التي ترمز لها الحيوانات، أو ربما صراع ضد الأمراض، وصراع الخير مع الشر.[٢٥]

وفضلاً عن ذلك فقد كان هناك مشهد فني لصف من الثيران في حلبة في وجهية معبد بتل العبيد مصنوعة من الخشب المكسو بالبرونز من أبرز النماذج الفنية التي ظهرت فيها الثيران كرمز للقوة في تلك الفترة، ويعد رأس الثور الذي كشف عنه في مدينة لجش[٢٦] عملاً فنياً فريداً في روعته وخطوطه المبسطة خاصة تلك النظرة المفترسة لتي تنطق بها العينان البراقتان المطعمتان باللازورد المتألق وسط اللون الأخضر، وأذنان منتصبتان وقرنان مشرعان دلالة على القوة والأفتراس[٢٧](الشكل رقم ٢).

شكل رقم (٢)

وإن انتشار وجود شكل رأس الثور على فخاريات بداية العصور التاريخية إلى جانب التمائم التي اتخذت شكل الثور أو رأسه فقط، والتي كانت كفيلة بحماية الشخص حيث انها تدفع الشر عنه ويكون من الصعوبة الايقاع بحاملها، وربما تنقل قوة لصاحبها.[٢٨]

يتضح لنا إن الثور من الحيوانات المهمة في بلاد الرافدين وخصوصاً الثور البري الذي كان يقدر تقديراً كبيراً آنذاك بسبب ما يتمتع به من قوة جسدية فائقة وضخامة وشراسة وعيون واسعة فهو بذلك رمز للقوة، وظهرت رؤوس الثور ورسوماته من خلال التنقيبات التي جرت في عدد من البيوت والمعابد حيث تشاهد الآلهة وهي واقفة في دعامات المعبد بينما قرون الثور عملت بشكل مجسم لتعبر عن قوته التجديدية أو قوة الإله ولتبرز أهميته وقرونه كرمز لقوة خلق الحياة أو تعبيراً عن الخصوبة والتكاثر.[٢٩]

ثالثاً: الثور رمز الآلهة والألوهية

ذكرنا سابقاً أن الثور دخل في ألقاب الكثير من الآلهة العظام ومنها الإله أنو – انليل – الإله سين والآلهة عشتار،

وهو فضلاً عن ذلك فقد كان رمزاً لكثير من الآلهة أيضاً، فالإله نركال (إله العالم السفلي والحرب والجوع والخراب) كان يرمز له بالثور ويسمى (الثور البري العظيم)، وكذلك شبه الإله انليل ملك الآلهة بـ(الثور البري القوي في الجبل)، وإن رأس الثور الممثل على الفخار الملون لعصور ما قبل التاريخ كان يعتقد أنه يرمز إلى إله العاصفة، وقد اقترن الثور عادة مع الإله الذي له صفة البرق والرعد وهو الإله (إدد) ومنذ العصر البابلي القديم (٢٠٠٤ – ١٥٩٤ ق.م) حيث مثل هذا الإله وهو يقف على الثور ويمسك بيده فأساً[٣٠]. (ينظر الشكل ٣) وكان من أبرز أعمال الإله آنو هو الذي خلق (ثور السماء) بناءً على طلب الآلهة اينانا – عشتار. وقد اشتق الرأس المقرن من قرون الثور الوحشي (Bos Primigenius) والذي استخدم فيما بعد رمز للآلهة والالوهية.[٣١]

شكل رقم (٣)

وقد اطلق على هذا الرمز باللغة السومرية (Ki.luš) أو (Ki.Dur) ونفي العرش أو الكرسي، يقابله باللغة الاكدية (Šubtu)[٣٢] وظهر هذا الرمز على المشاهد الفنية على شكل قبعة مسطحة ذات قرون موضوعة على دكة يظهر على الرأس على شكل ضمة أو عقدة مع القرون (الشكل رقم ٤). وقد استمر استخدام التاج المقرن كرمز مميز للإلوهية على المشاهد الفنية وكرمز للآلة (آنو)، والإله (انليل).[٣٣]

كما وظهر التاج المقرن على شكل تاج طويل موضوع فوق دكة مطوق بأزواج من القرون تتراوح ما بين ثلاثة إلى سبعة قرون تتجه نحو الأعلى، وكان هذا الرمز واضحاً على احجار الحدود[٣٤]، ولاسيما أحجار حدود الملك نبوخذ نصر الأول[٣٥] الذي تكون من ستة حقول يلاحظ في الحقل الثاني ثلاثة أشكال للتاج.[٣٦]

واستخدم التاج المقرن منذ الألف الثالث قبل الميلاد كرمز مميز للآلهة على المشاهد الفنية واستمر استخدامه حتى أصبح رمز القبعة ذات القرون رمز إلى آلهة تثلث العظام (آنو – أنليل – انكي) وقد وضع رمز التاج المقرن على المسلات الملكية ومنها مسلة الملك الآشوري (آشور ناصر بال الثاني ٨٨٣ – ٨٥٩ ق.م) ليرمز إلى الإله (آشور) الإله القومي للآشوريين. كما وضع على التعاويذ والتمائم والقلائد التي كان يرتديها الملوك الآشوريين وخاصة في اوقات الاحتفالات الدينية والأعياد. وقد أمر الملك الآشوري (اسرحدون ٦٨١ – ٦٦٨ ق.م) بصنع قبعة فخمة له من الذهب الاحمر مرصعة بالأحجار الكريمة ووضع القرون عليها كرمز لسيادة الإله آشور[٣٧]. وبعد أن تطور التاج المقرن في المشاهد الفنية من القبعة أو العقدة إلى التاج الطويل ذات الازواج المتعددة من القرون، ظهر غطاء الرأس (التاج) الذي يحتوي على ثلاثة قرون في مسلتان ميزه لنا الملك الآشوري (سنحاريب ٧٠٤ – ٦٨١ ق.م) حيث كان التاج اشبه برأس سمكة وكان مزين

بثلاثة ازواج من القرون، وقد اعتبر لبس التاج أو الخوذة أو غطاء الرأس (qarun) من سمات الآلهة ورموزها، وان لبس التاج المقرن بزوج واحد من القرون وصولاً إلى سبعة أزواج اعتبر علامة للإلوهية.[٣٨]

رابعاً: رمزية الثور في الأساطير والمشاهد الفنية المركبة:

ارتبطت صورة الثور ورسوماته بالأبطال الأسطوريين في الاساطير العراقية القديمة والنصوص الأدبية والملاحم، فقد كان يصور إلى جانبهم على النصب التي تسجل اعمالهم، وقد استخدم الثور سلاحاً في الخلاف بين عشتار وكلكامش في قصة الثور السماوي الاسطوري، ولم يتمكن كلكامش من قتله إلا بعد مساعدة صديقه انكيدو، لذلك لم يحتفل الملوك الآشوريين بقتل حيوان غير (الثور الوحشي) وقد عُرفت هذه العملية باسم (صيد الثور الملكي)[٣٩]، وكأنه لا يليق بمقام الملك ينازل غيره من الحيوانات، لإظهار قوته وبأسه وشجاعته، وكانت تقام الاحتفالات عند تغلب الملك عليه وقتله، وكان الانتصار على الثور الوحشي حدثاً كبيراً في حياة الإنسان في العراق القديم لأنه يثير اعجابه.

ومن المخلوقات الاسطورية المركبة التي صورت برأس بشري وجذع إنسان مع قرون ثور وأرجل ثور ما سمي في الاساطير باسم (الرجل الثور – الإنسان برأس الثور) واعتبروا هذا المخلوق من حراس البوابات للقصور والمعابد، وكان أول ظهور لهُ في مشاهد القتال على الاختام الاسطوانية من عصر فجر السلالات (٢٨٠٠ ق.م)، أما في الألف الثاني قبل الميلاد – العصر الأكدي، فقد ظهر الرجل الثور مهاجماً من رجلين اعتقد أنهما كانا يمثلان كل من كلكامش وانكيدو.

ثم ظهر في العصر البابلي القديم هذا المخلوق كتابع لإله الشمس (اوتو) يساعده في حمل الراية. أما في العصر الآشوري فقد يشاهد الرجل الثور وهو يحمل قرص الشمس المجنح[٤٠]. (الشكل رقم ٥).

ومما هو جدير بالذكر ان تسمية الرجل الثور بـ(Kusarikku) وترجمتها هو (الثور بيسون – bison) وتعني انه من المخلوقات المركبة الذي ورد في احد الاساطير السومرية ان الإله ننورتا صرعه في البحر، أو أنه احد حيوانات تيامه[٤١] صرعه الإله مردوخ في ملحمة الخليقة. وأن تمثيل الرجل الثور ابتكر ليمثل صورة (ايماء الرعب) للثور الوحشي بيسون في الرؤية الاسطورية.[٤٢]

أما ثور السماء الذي هو وحش اسطوري بوجه إنسان، فقد كان يرمز إلى القحط واليأس والقوة العضلية التي هي أقرب إلى التدمير، فقد وجد على الاختام الاسطوانية ويرمز إلى الجفاف باعتباره مشكلة كونية وليس مجرد سلاح استخدم في الخلاف بين عشتار وكلكامش. حيث يمثل المشهد إله يقوم بقتل الثور الذي يظهر خلفه في الطرف الآخر إله ثان يقف على تنين مجنح ويسمك بيده صولجاناً وفي وسط المشهد إله تستنزل المطر من السماء بيديها المرفوعتين.[٤٣]

وقد عُرف ثور السماء بالمصطلح السومري GU.AN.NA ومرادفه الأكدي (aleiu)[٤٤]، ومن خلال هذه التسمية يعتقد ان هذا الحيوان مرتبط وجوده بإله السماء (انو) الذي خلق قبله ليحطم مدينة الوركاء تحت ضغط ابنته عشتار التي ارادت ان تنتقم من كلكامش بسبب اهانته لها، و تحت نفس الضغط خلق الإله آنو ايضاً (ثور السماء) الذي هبط إلى الأرض وسبب الدمار الواسع

لكنه قتل بعد ذلك من قبل كلكامش بمساعدة صديقه، وهذا ما اغضب عشتار.[٤٥]

وبما أن الثور البري في بلاد الرافدين كان ينظر له نظرة تقديس وتبجيل فقد كان من أكثر الحيوانات التي يقدمها المتعبدون للمعبد كقرابين للآلهة، فقد ظهرت طقوس معينة اشترك فيها الثور كعنصر من عناصر الاضاحي المقدمة للآلهة، ففي زمن الأمير كوديا حاكم مدينة لجش (٢١٤٤ – ٢١٢٤ ق.م) عثر على نحت لثور محدب وكبش في وضع المسير، كانا يمثلان جزء من موكب تضحية[٤٦]. وكان الثور احد الحيوانات المضحى بها في عيد رأس السنة، وفي اليوم الخامس منه وعند المساء تحديداً، حيث يشارك الملك في هذه الطقوس والشعائر وتقديم الاضاحي والقرابين. وكان يفضل في هذا الطقس اختيار ثور ابيض وتقديمه كقربان لاعتقادهم انه سيطهرهم من الذنوب والآثام.[٤٧]

ويتبين من النصوص المسمارية الدينية ان عملية تقديم القرابين للآلهة وبالاخص عندما يكون القربان ثور أو بقرة، كان يرافقهما العزف على القيثارة وذلك من أجل أن تخفف انغامها من حدة خوار الثور أو البقرة اثناء ذبحهما، لذلك اصبحت هناك علاقة ما بين ذبح قربان الثور والقيثارة والعزف، الأمر الذي دفع السومريين إلى تزيين مقدمات قيثاراتهم برأس الثور أو البقرة (الشكل رقم ٦) وإن اهم ما يميز القيثارة السومرية هو علاقتها بالثور، إذ كان صندوقها الصوتي يصنع بهيئة الثور.[٤٨]

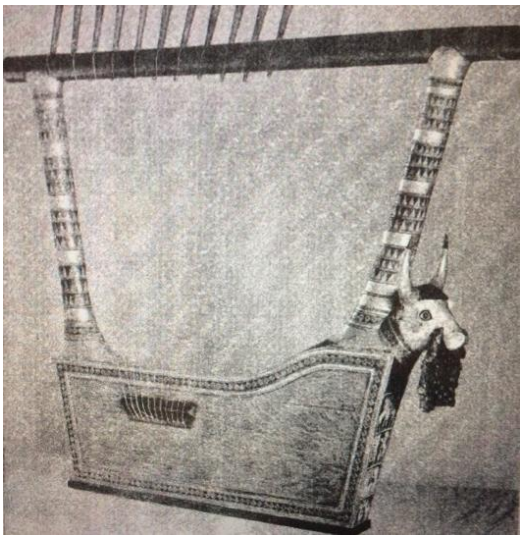

خامساً: رمزية الثور المجنح ذو الرأس البشري:

عُرفت الثيران المجنحة ذات الرأس البشري لدى الآثاريين باسم (لاماسو – Lamassu) باللغة الاكدية تقابلها باللغة السومرية اسم (لاما – Lama)[٤٩]. وقد ظهرت منذ عصر فجر السلالات المبكر في مجمع آلهة مدينة لجش باعتبارها آلهة سومرية صغيرة قامت بدور الشفاعة واصبحت عبادتها اكثر شعبية خلال العصر البابلي القديم، وتعود فكرة استخدام الثيران المجنحة كحيوانات اسطورية مركبة وحامية لبوابات المدن والمعابد منذ عصر في السلالات وبدأت بنماذج خاصة بالآلهة (Lama) وكانت عبارة عن تمثال لثور بارك برأس بشر من مدينة لجش وهو رمز لهذه الآلهة. وتعد هذه بداية الفكرة التي استخدمت لاحقاً في بوابات القصور والمعابد الآشورية[٥٠]. فقد ظهر الثور المجنح في العصر الآشوري الوسيط (القرن الخامس عشر قبل الميلاد) بوصفه روحاً حامية تحرس الأبواب للمعابد والقصور والمدن وتطرد الشر عنها، وظهرت في هذا العهد باسماء مثل (لاماسو – Lamassu – شيدو – Sedu – الادلامو – aladlammu)[٥١].

إن أول من عثر على الثور المجنح هو الآثاري (هنري لايارد) عام ١٨٨٦م، وباستمرار التنقيبات الآثارية تم الكشف على أكثر من مائة تمثال لثور مجنح برؤوس آدمية عُرفت من ضمن بقايا العواصم الآشورية لتصبح رمز للقوة الآشورية الحديثة، من بينها حوالي (٤٣) ثور مجنح اكتشف في العاصمة (نينوى) اثنان في بوابة نركال، و(٤٠) تمثال من بقايا قصر الملك سنحاريب، وقد زينت الثيران المركبة بشكل واضح ومميز قصور اهم الملوك الآشوريين وكذلك بوابات العواصم الآشورية، ونحتت بعناية كبيرة ونقشت على بعضها نصوص مطولة بالكتابة المسمارية ولاسيما الجزء المحصور ما بين السيقان واسفل البطن، وقد تضمنت هذه الكتابة اسم وصفات الملك مع موجز جغرافي لفتوحاته، كما ذكر بعض الملوك الآشوريين مثل سرجون الثاني وسنحاريب واسرحدون في كتاباتهم هذه كيف كانوا يصنعون من الحجر الأبيض أشكال هذه الثيران المجنحة على يمين ويسار الأبواب، وتعتبر الثيران المجنحة ذو الرأس البشري التي

تم الكشف عنها في العواصم (كلخو ودور شروكين ونينوى) أكثر اكتمالاً مع فخامة ثيران (دور شروكين (خرسباد)).[٥٢]

وقد وضعت هذه الثيران بشكل أزواج يكون اتجاهها إلى الخارج، ونراها منتصبة على ركائز الباب، وكانت بمثابة الآلهة الحامية للآشوريين وهي الحارسة لقصورهم ودولتهم العظيمة. وإن تماثيل هذه الحيوانات الاسطورية المركبة تحمل الكثير من الرموز ولها الكثير من الوظائف فهي تمثل في المعتقدات الآشورية الروح الحامية من الأعداء والأمراض والشرور، لذلك توضع على بوابات أسوار المدن والقصور والمعابد لإحكام السيطرة على منافذ الأخطار التي تهددهم.[٥٣]

ومن جهة أخرى فهي تمثل دعامة فنية معمارية فهذه التماثيل الحارسة تخدم غرضاً معمارياً وهو حمل قوس المدخل العائد إلى البوابة، فضلاً عن كونها بذخ جمالي ورفاه حضاري يدل على سعة طموح الإنسان العراقي القديم وشدة تعلقه بالحياة، ومع ذلك فهي أيضاً وثيقة تاريخية مهمة حوت على الكثير من المعلومات والنصوص والكتابات الملكية لأهم وأشهر ملوك الإمبراطورية الآشورية فيما يخص أعمالهم العمرانية، وحملاتهم العسكرية، وألقابهم وصفاتهم، وعدلهم وتفويضهم الإلهي، وموقع قصورهم وعواصمهم.[٥٤]

هذا بالإضافة إلى كونها تمثل اعظم وسيلة إعلامية في الشرق الأدنى القديم لبيان فخامة الامبراطورية الآشورية وعظمتها، وعظمة ملوكها وقدرتهم وجبروتهم وفتوحاتهم. وكذلك اظهرت هذه التماثيل وأكدت على مبدأ الروحية والحيوية الذي هو من خصائص الفكر الديني عند العراقيين القدماء، لأن الروح عندما يصبح تمثال اللاماسو، هذا يعني ان الكون ليس جامداً ولا فارغاً، بل إن الطبيعة مليئة بالحيوية.[٥٥]

أما بالنسبة للرموز التي كان يحملها هذا الحيوان الاسطوري المركب في تماثيله، فإن حضور تماثيل الثور المجنح في مداخل القصور الملكية للعواصم الآشورية كان حضوراً مزدوجاً لذلك فأنه حقق مبدأ التماثل في فن العمارة الآشورية وفي نفس الوقت اصبح يحمل أكثر من علامة ورمز (الشكل رقم ٧). فكل شيء فيه رمز لعنصر من عناصر الحياة، فقد كان يحمل وجهاً بشرياً وروحاً للحماية تتمتع بسلطة

ويرمز بوضوح إلى قوة نافعة خيرة تتعرض وتدافع عن الذين يؤمنون بقدراتها الفائقة.[٥٦]

شكل رقم (٧)

فالرأس البشري الذي كان يوضع في الثور كان يرمز إلى العقل والحكمة وفصاحة الرأي، وكذلك يرمز إلى الملك لأنه يحمل التاج المقرن الذي هو مركز قوة الأنسان وعظمة الآلهة ورمز الألوهية، أما جناحي الثور فهما جناحا النسر في جسم الثور وترمز إلى الخفة وقوة النسر ملك السموات الذي نراه قوة متسلطة في السماء مسيطراً على الجو فهو بذلك له علاقة بالملك والآلهة في السماء، والجسم فقد كان جسم الثور الذي يرمز إلى القوة والحماية ويمثل الخصب والتكاثر لأنه قرين البقرة، فهو رمز للعنصر المذكر في الطبيعة، والمخالب كانت مخالب الأسد الذي هو يرمز إلى القوة سيادة الامبراطورية الآشورية، وترمز مخالب الأسد إلى الشراسة، وهي جزء من الدعاية السياسية التي عمد الآشوريين إلى توظيفها لإدخال الرعب والرهبة في قلوب اعداءهم. أما الذيل فقد كان يمثل ذيل السمكة الذي يرمز إلى القوة في الماء والحكمة فضلاً ما يمثله السمك كعنصر مهم لغذاء البشر والآلهة معاً.[٥٧]

وعلى هذا الأساس فإن رموز الثور المجنح ذو الرأس البشري قد جمعت الجو (السماء) والأرض والمياه في شكل واحد فهي بذلك جمعت رموز الآلهة الثلاثة الممثلة لهذه العناصر الطبيعية، أي جمعت رموز التثليث الإلهي الأول في حضارة وادي الرافدين القديمة المكون من (آنو – إله السماء – انليل – إله الهواء – انكي – إله الأرض والمياه السفلى)[٥٨]. فهو بذلك قد حصر الكون من خلال السيطرة على اجواءه وعناصره، ففي السماء نسراً قوياً، وعلى الأرض أسداً مفترساً وفي المياه سمكة بذيلها وحراشفها.

الخاتمة

من خلال هذه الدراسة تم التوصل إلى مجموعة من النتائج اهمها:

١-إن رمزية الثور في الفكر العراقي القديم، إنما ترجع بجذورها إلى عصور ما قبل التاريخ، عندما ظهرت رسوماته على جدران الكهوف والمغارات، ثم تطورت في العصور التاريخية لتظهر على الفخار الملون والتمائم والتعاويذ كرمز للحماية، واتخذت مظهر اوسع في المشاهد الفنية لتظهر رموز القوة والعظمة والخصب والتكاثر وطرد الأرواح الشريرة وترهيب الأعداء فضلاً عن وظيفتها الجمالية والزينة.

٢-لجأ الإنسان العراقي القديم إلى اتخاذ الرموز ولاسيما الرموز الحيوانية، للدلالة على معاني الحياة المستمرة (الحيوية) والقوة، والبأس، والحماية وحراسة بوابات المدن والمعابد، فأصبح خياله يبدع في ايجاد اشكال مزدوجة ومركبة من هذه الحيوانات لتجمع كل رموز الكون وعناصره.

٣-لعب الثور، ولاسيما الثور الوحشي دوراً مهماً في الجانب الاسطوري، والمخلفات الادبية القديمة، لما يحمله من صفات القوة والشراسة والافتراس والنظر الثاقب والحيوية فظهر بشخصيات اسطورية ومخلوقات مركبة جسدت أفكار ومعاني ورموز كثيرة أهمها الصراع بين الخير والشر.

٤-إن رمزية الثور المجنح ذو الرأس البشري تجمع كل مظاهر القوة من حكمة الإنسان واتزانه (الرأس)

وقوة الثور وثباته (الجسد) وسرعة النسر وهيمنته (الجناحين) وبذلك تستنبط هذه المنحوتات فكرة ورمزية البحث عن الكمال المطلق، فضلاً عما تحمله من رموز القدسية والإلوهية، والوظيفة الكهنوتية. وإبداع الإنسان العراقي القديم في فنه.

الهوامش وتعليقات البحث:

[1]) فيلب سيرتج، الرموز في الفن، الأديان، الحياة، ط1، ترجمة: عبد الهادي عباس، دار دمشق، دمشق، 1992، ص13.

[2]() محسن محمد عطية، الفن وعالم الرمز، دار المعارف، القاهرة، 1996، ص189.

[3]() مرسليا الياد، المقدس والدنيوي، ترجمة: نهاد الخياط، دمشق، 1979، ص136.

[4]() ابو الفضل جمال الدين، لسان العرب، ج1، دار صادر، بيروت، بلا، ص217.

[5]() محمد ابي بكر عبد القادر، مختار الصحاح، دار الرسالة، الكويت، 1983، ص256.

[6]() مراد وهبة وآخرون، المعجم الفلسفي، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، 1971، ص104.

[7]() احمد امين سليم، دراسات في حضارات الشرق الأدنى القديم (العراق، إيران)، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية، 1992، ص101.

[8]) Mitford, Miranda Bruce, signes symbols, New York, 1997, p.21.

[9]) King, H. Half-Human creatures in mytnical Beast, England, 1995, p.138.

[10]) Breniquet, C., Animal in Mesopotamia Art, in History of the animal world in the ancient near east, Boston, 2002, p. 158.

[11]() حكمت بشير الأسود، الثور المجنح لاماسو رمز العظمة الآشورية، ط1، المركز الثقافي الآشوري، دهوك، 2011، ص7.

[12]) Braid wood, Investigation in Iraq Kurdistan, Chicago, 1960, p. 141.

[13]() سجى مؤيد عبد اللطيف، الحيوان في أدب العراق القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، 1997، ص114.

[14]() فوزي رشيد، وسائط النقل المائية والبرمائية، مجلة النفط والتنمية، العدد 8، لسنة 1981، ص99.

[15]() هاري ساكز، قوة آشور، ترجمة: عامر سليمان، بغداد، 1999، ص236.

[16]) للمزيد من المعلومات والإطلاع على هذه النصوص القانونية ينظر: عامر سليمان، القانون في العراق القديم، الموصل، 1979، ص200.

[17]) زهير صاحب، الفنون السومرية، دار ايكال للطباعة والنشر، بغداد، ص20؛ إيلاف سعد البصري، وظيفة الابلاغ في الرسوم الجدارية العراقية والمصرية القديمة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2008، ص81.

[18]) Black, G., Green, A., Gods, Demons, and symbols of Ancient Mesopotamia, London, 1998. P. 5.

[19]) دموزي: صيغة سومرية كانت تكتب على شكل (دمو – زي – ايزو) "Dumu-iz-Apzu" ويعني الابن اناهيل لابسو وهوالة النبات وابن الإله انكي وزوج الآلهة عشتار. للمزيد ينظر: جان بوتيرو، الديانة عند البابليين، ترجمة: وليد الجادر، بغداد، 2005، ص60.

[20]) فاضل عبد الواحد علي، عشتار ومأساة تموز، بغداد، 1986، ص34.

[21]() انليل: يعني اسمه (ان – ليل) أي (سيد الريح او العاصفة) سيد ما بين السماء والأرض، ويأتي بالمرتبة الثانية بعد الإله (آنو)، وهو مقرر مصائر البشر وبيده ألواح القدر، ويعاقب الملوك على اخطائهم باعتباره مصدراً للسلطة، وكان مركز عبادته في مدينة (نفر) المدينة المقدسة من بين المدن السومرية للمزيد ينظر:

- Albero, R., W., The storm God in the Ancient Near East, Biblical and Judaic studies, vol. 98, Indiana, 2003, p. 78.

[22]) مريم عمران موسى، الفكر الديني عند السومريين، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، 1996، ص226؛ حكمت بشير الأسود، المصدر السابق، ص14.

[23]() اينانا عشتار: وهي آلهة سومرية عرفت منذ الألف الثالث قبل الميلاد اسمها مشتق من الصيغة (nin-an-na) وتعني (سيدة السماء) وتعد ابنة الإله سين – Sin إله القمر.

- Gelb, The name of the Goddess, Innin journal of near

eastern studies, vol. 19, Chicago, 1960, p. 27.

[24]() بلال موسى بلال، الرمز الديني، ابو ظبي، 2011، ص153.

[25]() محمود امهنر، في تاريخ الشرق الادنى القديم، بيروت، 2009، ص183.

[26]() لجش: مدينة سومرية تقع بالقرب من شط الغراف ما بين دجلة والفرات على بعد (10 أميال إلى الشمال الشرقي من بلدة الشطرة، وتتكون من مجموعة من التلول ابرزها (تل الهباء) سرغل، ينظر:

- طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج1، بيروت، دار الوراق، 2009، ص301.

[27]() ثروت عكاشة، الفن العراقي القديم سومر وبابل وآشور، بيروت، بلا، ص168.

[28]() جون اوتس، الديانة والطقوس في الألف السادس قبل الميلاد في وادي الرافدين، ترجمة: عزيز عمانويل، مجلة ما بين النهرين، العدد 39-40، لسنة 1982.

[29]) Barning, A., Cashford, J., The myth of the Goddess Evolation of an Imag, London, 1991, p. 129.

[30]) Black, G. Green, A., op. cit, p. 47.

[31]) Ibid, p. 103.

[32]) فاتن موفق، رموز اهم الآلهة في العراق القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، الموصل، 2002، ص22.

[33]) المصدر نفسه، ص21.

[34]) أحجار الحدود: وهي عبارة عن مسلات صغيرة غير منتظمة مقسمة إلى حقول مكتوبة ومنقوشة برموز بعض الآلهة والغرض منها تثبيت ملكية مساحة من الأراضي الزراعية التي يعطيها الملك للموظفين والكهنة للمزيد ينظر: عامر سليمان واحمد مالك الفتيان، محاضرات في التاريخ القديم، بغداد، 1978، ص139.

[35]) نبوخذ نصر الأول: وهو (نابو كودوررري – اوصر) (1124-1103 ق.م) الملك الرابع لسلالة ايسن الثانية كان معاصراً للملك الآشوري (آشور – ريش ايشي الأول) للمزيد ينظر:

- حسن النجفي، معجم المصطلحات والإعلام في العراق القديم، ج بغداد، 1982، ص143.

[36]) Black and Green, op. cit, p. 113.

[37]) Van Buren, E., D. symbols of the Gods in Mesopotamia Art, London, 1939, p. 105.

[38]) طارق مظلوم، "فن النحت"، موسوعة الموصل الحضارية، الموصل، 1985، ص93.

[39]() جورج كوتنتيو، الحياة اليومية في بابل وآشور، ترجمة: سليم طه التكريتي وعبد برهان، بغداد، بلا، ص108.

[40]) Black and Green, op. cit, p. 48; حكمت بشير الأسود، المصدر السابق، ص19.

[41]() تيامة: اسمها في اللغة الاكدية (اليم) والتي مثلت المياه المالحة العنصر المؤنث في قصة الخليقة البابلية (حينما في العلى) عندما لم يكن في البدء سوى العماء المكون من المياه الازلية (ابسو) والآلهة (تيامة) ومن امتزاجها ولد الآلهة، للمزيد ينظر:

ادزارد، قاموس الآلهة والأساطير، ج، ترجمة: محمد وحيد خياطة، دار الشروق، بيروت، بلا، ص115؛ قاسم الشواف، ديوان الأساطير، ج2، دار الساقي، بيروت، ص116.

[42]() حكمت بشير الاسود، المصدر السابق، ص19.

[43]() ينظر: المشهد في انطوان مورتكات، الفن في العراق القديم، ج1، ترجمة وتعليق: عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، بلا، ص255- ص270.

[44]) Jermy Black, Aconise Dictionary of Akkadian, Vol. 5, Wiesbaden, 2000, p. 377.

[45]() ساندرز، ملحمة كلكامش، ترجمة: محمد نبيل نوفل وفاروق حافظ، القاهرة، 1975، ص41.

[46]) Van Buren, op. cit, p. 74.

[47]) Ibid, p. 33.

[48]() صبحي أنور رشيد، الموسيقى في العراق القديم، بغداد، 1988، ص156.

[49]) Jermy Black, op. cit, p. 177.

[50]) Van Buren, op. cit, p. 15.

[51]) Jermy Black, op. cit, p. 10.

[52]) Lucken bill, D., D., Ancient Records of Assyria, Chicago, 1927, p. 122-126.

[53]) مرغريت روثن، علوم البابليين، ترجمة: يوسف حبي، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1980، ص46.

[54]) طارق عبد الوهاب مظلوم وعلي محمد مهدي، نينوى، ط2، ج1، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1986، ص541.

[55]() هاري ساكز، قوة آشور، المصدر السابق، ص339؛ مريم عمران موسى، الفكر الديني عند السومريين، المصدر السابق، صص42.

[56]() انطوان مورتكات، الفن في العراق القديم، ج1، المصدر السابق، ص258.

[57]() قاسم محمد علي، سرجون الآشوري، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد، 1983، ص123؛ سجى مؤيد عبد اللطيف، المصدر السابق، ص99.

[58]() قاسم محمد علي، المصدر السابق، ص123.